

"ميزان المفاهيم في الكتاب المدرسي ومدى استجابته لسلم القيم في المجتمع الجزائري"

د/عيسى عيساوي.

المدرسة العليا للأساتذة (آسيا جبّار) قسنطينة.

الرتبة العلمية : أستاذ محاضر "ب"

ملخص المداخلة:

- الكتاب المدرسي هو المؤشر الرئيس في نظام الإصلاح التربوي إذ أنه انعكاس ومحاكاة للمناهج التعليمية ولطرائق التدريس ولعمليات التقويم. وعلى هذا الأساس فهو الذي يرسم خارطة المفاهيم والقيم للمتعلّمين بل ويحدّد التطلّعات السياسية للمنظومة التربوية، وهو موضوع هذه الورقة العلمية والتي نحاول فيها أن نرصد ميزان المفاهيم الكبرى (كالمواطنة والملكية العامة والحقّ والواجب والمسؤولية الاجتماعية والرأي والرأي الآخر) وعلاقة هذه المفاهيم بالمرامي الكبرى للدولة الجزائرية ومدى استجابتها لسلم القيم في المجتمع الجزائري انطلاقاً من الأبعاد الحضارية للأمة ممثلة في ثلوث اللغة والدين والتاريخ. وعليه فإنّ هذه المداخلة تنطلق من سؤال حضاري جوهري وهو: ما هي المرجعية الفكرية لميزان المفاهيم في الكتاب المدرسي الجزائري؟ هل يستمدّ الكتاب المدرسي سؤال المفهوم من الحضارة العربية الإسلامية أم من الحضارة الغربية أم من كليهما؟ هل تستجيب المفاهيم الكبرى في الكتاب المدرسي لسلم القيم في المجتمع الجزائري؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يستجيب الكتاب المدرسي الجزائري لحاجات المتعلّمين اللغوية والنفسية والاجتماعية والجمالية؟ وهل يستجيب ثلوث اللغة والدين والتاريخ للتطلّعات السياسية التربوية الجزائرية؟ أم أنّها مجبرة على فتح عوالم أخرى لإصلاح المنظومة وتحديثها بما يتماشى ونظام العولمة؟؟؟. لعلّ هذه الأسئلة الجديدة تقودنا إلى صياغة أهداف هذه الدراسة والتي نوجزها في الآتي: ضرورة قراءة الكتاب المدرسي قراءة واعية وفاحصة تتجاوز الإشكالية المفاهيم والقيم وتحيينها بما يتناسب والتطلّعات السياسية التربوية. إعادة النظر في مضامين الكتاب المدرسي ومحتوياته وتحيينها مع واقع العولمة دون الوقوع في بؤرة الاستيلاء الثقافي. إعادة النظر في اختيار النصوص وتوجيه الخطاب المدرسي بما لا يتعارض ومقومات الأمة الجزائرية. وفي اعتقادنا أنّ أهمية هذه المداخلة تنبع من إيماننا أنّ الكتاب المدرسي مؤسسة ثقافية وحضارية، كيف لا وهو المؤشر الرئيس في صناعة الأجيال، وعامل بناء في تكوين بنية العقل الجزائري، هذا العقل الذي كان إلى زمن غير بعيد يحمل رؤية ومشروعاً حضارياً لبناء جزائر أفضل...

-الإطار النظري للدراسة:**- مقدمة:**

يستمدّ سلّم القيم في أيّ منظومة تربوية مرجعيته من المنظومة الثقافية للأمة ، ما جعلها من أهمّ المباحث الفلسفية والفكرية قديما وحديثا.

فلا غرو إذن أن تشغل حيزا واسعا في مجال المعرفة ولا سيّما في بعديها التعليمي والتربوي.

والنسق القيمي كما يقول يوسف غراب(من أساسيات العمل التربوي الهادف ، ولذلك فإنّ النظام التربوي لأيّ مجتمع يلعب

دورا فاعلا في بناء القيم الإيجابية ، وحذف القيم السلبية من عقول وسلوك الناشئة من أبناء المجتمع من خلال وسائل

وأساليب متعدّدة... ولعلّ أهمّ نتائج العملية التعليمية هو أن تتخذ مجموعة من القيم تسعى إلى تحقيقها ، وما لم يحقق

التعليم هذا الهدف ، فإنّ فائدة المعارف والمهارات المكتسبة تنعدم. فالشخص المتعلّم الذي لا توجّهه معارفه وقدراته نحو

أهداف قيمة يتخذها لنفسه يصبح خطرا على نفسه وعلى المجتمع على حدّ سواء)¹

وفي هذا السياق سعت المنظومة التربوية الجزائرية في إطار سياسة الإصلاح التربوي إلى تحسين السلّم القيمي وتفعيله وما

يتماشى ونظام العولمة مع حرصها على تعزيز ثوابت الأمة، غير أنّ هذا المسعى يطرح اليوم عديد الإشكالات على مستوى علاقة

القيم بالممارسة أو على مستوى المقاربة البيداغوجية والمنهجية وكيفية تكريسها في الوسط المدرسي عبر قنواتها

الديداكتيكية الثلاث ممثلة في المنهاج والمقرّر والكتاب المدرسي هذا الأخير الذي يشكّل محور مداخلتنا والموسومة ب "ميزان

المفاهيم في الكتاب المدرسي ومدى استجابته لسلّم القيم في المجتمع الجزائري".

وسنركّز بحثنا فيها على المحاور الآتية:

1. مقارنة في مصطلحات المداخلة: (المفهوم – الكتاب المدرسي – سلّم القيم).

2. الإصلاح التربوي والكتاب المدرسي.

3. مرجعية القيم في الكتاب المدرسي للطور الابتدائي (الجيل الثاني)

4. القيم والقضايا التي تعكسها مضامين الكتاب المدرسي.

5. مدى استجابة المفاهيم الكبرى لسلّم القيم في المجتمع الجزائري.

6. نتائج الدراسة والتوصيات والبدائل المقترحة.

أولا/ مقارنة في مصطلحات المداخلة:**1 – المفهوم:**

يقول كانط: "الحدوس بدون مفاهيم عمياء، والمفاهيم بدون حواس جوفاء". ويقصد بالحدوس: المعرفة الحسية (المادية).

أمّا المفاهيم فهي المعرفة المجردة العقلية.

نحن في حاجة إلى دراسة المفاهيم؛ لأنّنا في حاجة إلى وعيٍ ، ونحن في حاجة إلى دراسة المفاهيم؛ لأنّ كثيرا من المشاكل تنتج عن

عدم تحديد المفاهيم.

المفهوم في الاصطلاح:-

عرّفه أبو البقاء الكفوي (ت1094هـ) في الكليات بقوله:

"المفهوم: هو الصورة الذهنية، سواء وضع بإزاءها الألفاظ أو لا"

وجاء في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم؛ للتهانوي (تبعده 1158هـ)

"المفهوم عند المنطقيين: ما حصل في العقل"

وفي المعجم الفلسفي لجميل صليبا (1976م)، تكرار للمعاني نفسها التي ذكرها التهانوي

- غراب يوسف: القيم في منظومة التعليم المصري، الإشكاليات والرؤى المستقبلية، صحيفة التربية ، رابطة خريجي المعاهد والكلّيات، مصر، 1995.¹

ومن أشهر التعاريف المتداولة للمفهوم، قولهم: "المفهوم معناه المنطقي هو مجموع الصفات والخصائص التي تحدّد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديداً يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى؛ فمفهوم الإنسان بالمعنى الأرسطي - مثلاً - هو أنّه حيوان ناطق، وما صدقته هم: أحمد ومحمد، وسائر أفراد الناس¹

2- الكتاب المدرسي:

هو مؤلّف ديداكتيكي وأداة إجرائية لتصريف المداخل النظرية والبيداغوجية للمناهج الدراسي، وهو أداة بيداغوجية موجّهة للعملية التعليمية، فضلاً عن كونه ظاهرة سوسيو. تربوية أفرزتها الأنظمة التربوية الحديثة .

ويعرفه "فرانسوا ريشودوي F richaudeauet" بقوله (هو وسيلة مطبوعة منظّمة من أجل استعمالها في مسار تعليمي أو سياق تكويني معيّن، تتميز بمحتوى ذي أبعاد ثقافية إيديولوجية، وبمحدّدات علمية بيداغوجية، وتعتمد أشكالاً لتواصل وتخضع في تنظيمها لمنهج معيّن)²، ويعرفه أبو الفتوح رضوان (بأنّه الصورة التطبيقية للمحتوى التعليمي، وهو الذي يرشد المعلم إلى الطريقة التي يستطيع بها إنجاز أهداف المناهج العامة والخاصة كونه يمثل في الوقت نفسه الوسيلة الأكثر ثقة في يد التلميذ نظراً لمقاييس الرقابة التي تخضع لها محتوياته من قبل السلطات العليا)³.

وفي نظرنا فإنّ السلطة العليا في الدولة إذ تمارس هذه الرقابة على محتويات الكتاب المدرسي، فإنّها تجسّد بهذه الممارسة الفوقية سلطة المفهوم على المتعلّم من خلال تحكّمها في المرامي والأهداف والقيم الكبرى للسياسة التربوية.

3- سلّم القيم:

يعرّف علماء الاجتماع القيمة بأنّها (مجموعة الأحكام التقويمية التي يصدرها الفرد على بيئته الإنسانية والمادية بالتفضيل أو عدم التفضيل، بالخير أو الشرّ، بالخطأ أو الصواب، بالقبح أو الجمال بالنفع أو الضرر على الموضوعات أو الأشياء أو السلوك أو الفكر أو الانفعال)⁴.

بينما يرى حامد زهران أنّ (القيمة عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية، وهي مفهوم ضمني غالباً ما يعبر عن الفضل أو الامتياز أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني أو أوجه النشاط)⁵

أما سعد عبد الرحمان فيعرّفها بأنّها (عبارة عن مجموعة من الديناميات التي توجّه سلوك الفرد في حياته اليومية، حيث يستخدمها في الحكم على الأحداث والأشياء مادية كانت أو معنوية، في مواقف التفضيل والاختيار)⁶.

ومصطلح القيم كونه قاسماً مشتركاً بين عديد العلوم، فإنّه كثيراً ما يتداخل مع بعض المصطلحات من باب العلاقة (كالقيمة والاتجاه، والقيمة والمعتقد والقيمة والأخلاق والقيمة والعادة والقيمة والحاجة والقيمة والاهتمام والقيمة والدافع والقيمة والسلوك والقيمة والمعيّار... وهلمّ جراً).

وموضوع القيم في المدرسة الجزائرية من الإشكالات الراهنة في المنظومة التربوية الحديثة التي تواجه تغييرات جذرية في منظومة القيم، وهو ما أفر صراعاً قيمياً بين السلطة والمجتمع والمتعلّم، هذا الصراع الفكري ولدّ تنافراً بين الأقطاب الثلاثة السالفة الذكر، فالمجتمع يلقي كامل المسؤولية على عاتق المدرسة، والمدرسة تتبرأ من هذا السلّ القيمي الجديد متممة بدورها المجتمع والدولة تبرّر هذا التصادم بضرورات العولمة وتطوّر وسائل الاتصال وتسارع المعرفة وهو ما أدّى بها إلى ضرورة الرّجّ بالمنظومة التربوية في برامج إصلاحية لترسيخ قيم التربية على المفاهيم الجديدة للمواطنة وحقوق الإنسان

1

Conception et production des manuels scolaires .guide pratique.Paris.UNESCO.1979.P51.² : Richaudauet

- أبو الفتوح رضوان وآخرون: الكتاب المدرسي، فلسفته، تاريخه، أسس تقويمه(دنت) دار المسيرة للنشر، عمان الأردن، ص 75 .³

- بشير معمريّة نقلا عن:نادية مصطفى الزقاوي، مجلة العلوم الإنسانية العدد 05، جوان 2001، جامعة منتوري قسنطينة.⁴

- نبيل عبد الفتاح: علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 227.⁵

- حافظ نبيل عبد الفتاح وآخرون: مقدّمة في علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1977، ص 21.⁶

والبيئة، كما أولت اهتماما بالغا في سياستها البيداغوجية بكتساب قيم وأخلاقيات جديدة فرضتها سياقات العولمة من جهة والسياسات الوطنية من جهة أخرى.

وهو ما يحيلنا إلى القول أنّ المدرسة الجزائرية الحديثة وجدت نفسها مجبرة على أن تنهل من مرجعيات قيمية مختلفة ، ما جعلها تعيش في حالة دائمة من الاضطراب واللااستقرار التعليمي والتربوي نتيجة الصراع الحاد بين التيار الفرنكفوني والتيار العربي والتيار الأمازيغي، الأمر الذي أفرز رهانات جديدة وتحديات بالغة في مجال القيم التعليمية والتربوية.

ثانيا/ الإصلاح التربوي والكتاب المدرسي:

(الإصلاح التربوي "la reforme" يعني إدخال تغييرات عميقة وهيكلية أو نوعية في بنية النظام التربوي على أساس ما استجدّ من أبحاث ونظريات في المجالات العلمية والاجتماعية المعتمدة من قبل المجتمع وما استشرفته الجهات المسؤولة من مستقبل ومن آفاق لهذا المجتمع ، والإصلاح التربوي أكثر شمولاً من مفهومي التجديد التربوي "innovation" والمستحدثات التربوية "la modernisation" (...)¹

بينما يعرفه حسن حسين البيلاوي ب(أته عملية التغيير في النظام التعليمي أو جزء منه نحو الأحسن)².

أما عبد القادر فضيل فيرى أنّ عملية الإصلاح التربوي (هي التغيير الجذري لبنية النظام والتجديد الكلي للأسس التي يقوم عليها والعناصر السياسية التي توجّهه)³.

ومهما يكن فإنّ التعريفات السالفة تتفق حول مشروعية التغيير في نظام التعليم سواء كان جذريا أو نسبيا بشرط أن يحقق هذا التغيير طموح المجتمع الجزائري، وأن يحدّد وجهاته المتباينة في مجال الفكر.

ولتحقيق هذا الهدف سارع القائمون على شؤون المنظومة التربوية في الجزائر إلى ضرورة تبني برنامج الإصلاح كقناة

يتّم من خلالها محاور المنظومة التربوية وتحديد موقعها من البرنامج الإصلاحي ، وهو ما يجعلنا نتساءل عن قدرة

النظام التربوي وتمكنه من التعايش والتوافق بين المقاربات التعليمية ومناهج التعليم والمقرّرات الدراسية والكتاب

المدرسي، هذا الأخير الذي يعتبر وسيلة تعليمية لا يستغني عنها رواد الإصلاح ولا رواد الإطلاع ، فالكتاب

المدرسي موضوع وفقا لمنهج دراسي يتسم بانتقاء مضامينه بما يناسب المتعلّم وبما يساعد على تحقيق الأهداف

التربوية ، أمّا بالنسبة للمعلّم فالكتاب المدرسي هو وسيلة التكوين البيداغوجي المساعدة على تقديم وتسيير

الدروس وتقييم المكتسبات.

ويفترض أن يساهم الكتاب المدرسي بشكل مباشر في تكوين شخصية الطفل المتعلّم والتأسيس للبعد القيمي

والهوياتي الذي يعدّ في نظرنا من أجلّ الوظائف لما يحمله من مضامين معرفية لقيم المواطنة وحقوق الإنسان

والمملكية العامة والبيئة ومفهوم الانتماء الثقافي والديني ، ونخشى أن تنحرف هذه الوظائف في الكتاب المدرس

الجزائري عن معانيها لتسلك وظائف خفية قد تكون عاملا على تكريس مظاهر الاستيلاء الثقافي والتغريب

الفكري والتشويش الطائفي على أجيال المستقبل.

1 - د محمد هاشمي فالوقي: اتجاهات حديثة في التربية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا، 1987، ص75.

2 - بلغسلة فتيحة: قراءة تحليلية للكتاب المدرسي الجزائري في ظلّ تشخيص واقع المنظومة التربوية، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، ع 12، ص177.

3 - المرجع نفسه، ص178.

ثالثاً/القيم والقضايا التي تعكسها مضامين الكتاب المدرسي:

1-3/ القيمة أصل كلِّ الفلسفات والعقائد والأخلاق والثقافات التي تتولّد عنها السياسة التربوية للدول ، ولهذا السبب كان حضورها في المناهج ريادة وطلائعياً ، فالمرجعيات العامة للمناهج تضع في أولوياتها القيم المشكّلة للهوية الوطنية وممارسة المواطنة كإلزامية أولية ، بل كثابت من ثوابت الأمة ومنا تنبثق القيم الأخرى كالمملكية العامة ، والضيمير والرأي والحريات ... وتصفّ القيم حسب الأنماط إلى قيم روحية دينية ، وقيم خلقية وقيم فكرية وقيم اجتماعية وثقافية ووجدانية وجمالية. ويمرّ إدماج القيمة بثلاث مراحل¹ :

أ- إبراز القيمة من خلال وضعية تعلّمية. في صيغة إشكالية لإعطائها دلالة.

ب- إبراز القيمة في قسم من الوضعيات بحيث تساهم في تعميم التجربة الوجدانية أو الفكرية.

ج- ترجمة القيمة في سلوكات جديدة.

2-3/ تحليل مضامين كتاب اللغة العربية في الطور الابتدائي (الجيل الثاني):

جدول يحدّد لنا الوحدات التعليمية المقرّرة والموزّعة على السنوات الأربع الأولى. وقد حدّدت بثماني وحدات في كلّ سنة وهي موزعة كالآتي:

	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
1	عائلي	الحياة المدرسية	القيم الإنسانية	القيم الإنسانية
2	المدرسة	العائلة	القيم الاجتماعية	القيم الاجتماعية
3	الحيّ والقرية	الحيّ والقرية	الهوية الوطنية	الهوية الوطنية
4	الرياضة والتسلية	الرياضة والتسلية	الطبيعة والبيئة	الطبيعة والبيئة
5	البيئة والطبيعة	البيئة والطبيعة	الصحة والرياضة	الصحة والرياضة
6	التغذية والصحة	التغذية والصحة	الحياة الثقافية	الحياة الثقافية
7	التواصل	التواصل	الابتكار والاختراع	الابتكار والاختراع
8	الموروث الحضاري	الموروث الحضاري	الأسفار والرحلات	الأسفار والرحلات

جاء في كتاب السنة الأولى ابتدائي (الجيل الثاني) ما نصّه: (يسرّنا أن نقدّم هذا الكتاب لأبنائنا... راجين أن يكون لهم سندا قويا ورفيقا وفيّا يلجون من خلاله إلى عالم العلم والمعرفة بلغة سليمة ومنهجية واضحة وقيم نبيلة)² أما مقدّمة كتابي في اللغة العربية للسنة الثانية من الطور الابتدائي فقد كانت حريصة على إظهار البعد القيمي بمنظوريه الإسلامي والإنساني، وهذا نصّها: (هذا كتابك في اللغة العربية والتربية الإسلامية والتربية المدنية للسنة الثانية من التعليم الابتدائي يساعدك على التحصيل العلمي ، ويشجّعك على الإنتاج اللغوي، وينميّ عندك مهارات الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة ، كما يرسّخ لديك القيم الإسلامية والإنسانية ويجعلك تتحلّى بروح المواطنة وتحسين التعامل مع الآخرين).³

والهدف من هذا التقديم هو تحسيس المعلّم والمتعلّم بضرورة تفعيل الجانب القيمي من خلال الوحدات التعليمية المقرّرة، ورصدا للقيم المستنتجة سنعمد إلى جدول يكون فيه العمود الأوّل خاصا برقم الوحدة والثاني خاصا بعنوان الوحدة بينما يختص العمود الثالث بنوع القيمة وهو كالآتي:

1-أشلي مونتاكو: طبيعة الإنسان البيولوجية والاجتماعية، تر: أحمد حسن الرحيم النجف، مطبعة الأدب، دت، 1965.

2-كتابي في اللغة العربية ،السنة الأولى ابتدائي 2016/2017 لجنة التأليف،ص03.

3-كتابي في اللغة العربية ،السنة الثانية ابتدائي 2016/2017 المؤلفون،ص03.

أ/كتاب "كتابي في اللغة العربية" للسنتين الأولى والثانية:

الرقم	الوحدة التعليمية	نوع القيمة
1	عائلي+الحياة المدرسية	وجدانية ، اجتماعية ، أخلاقية، سلوكية
2	المدرسة+ العائلة	وجدانية ، اجتماعية ، أخلاقية، سلوكية
3	الحيّ والقرية	اجتماعية ، خدماتية
4	الرياضة والتسليّة	ترفيهية، صحية، خدماتية
5	البيئة والطبيعة	جمالية ، بيئية ، استكشافية
6	التغذية والصحة	اقتصادية ، صحية
7	التواصل	تواصلية
8	الموروث الحضاري	تاريخية ، ثقافية

ب/كتاب "كتابي في اللغة العربية" للسنتين الثالثة والرابعة:

الرقم	عنوان الوحدة	القيم والقضايا المتضمنة
1	القيم الإنسانية	إنسانية
2	الحياة الاجتماعية	اجتماعية
3	الهوية الوطنية	وطنية
4	الطبيعة والبيئة	جمالية، بيئية، استكشافية
5	الصحة والرياضة	ترفيهية، صحية، خدماتية
6	الحياة الثقافية	ثقافية، معرفية.
7	عالم الابتكار والاختراع	علمية، معرفية، استكشافية.
8	الأسفار والرحلات	استكشافية، تواصلية

-النتائج الجزئية: بالنظر إلى القيم والقضايا المتضمنة في كتاب اللغة العربية للسنوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة ابتدائي (الجيل الثاني) تتضح بعض عوالم الأهداف والمرامي الكبرى للدولة في توجيه سياستها التربوية نحو تكريس خياراتها الثقافية والاجتماعية، بحيث تسعى إلى خلق تنشئة اجتماعية كفيلة بصناعة مواطن قادر على أداء دوره اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، مع ضرورة محافظته على قيم الهوية الوطنية والدينية ، وإشراك المتعلم لاستشراف المستقبل في مستلزماته العلمية والتكنولوجية لإعداد جيل قادر على مجابهة العولمة دون الوقوع في الاستيلاء الثقافي.

رابعاً/ المفاهيم الكبرى المشكّلة لسلم القيم في الكتاب المدرسي للطور الابتدائي:

الهوية الوطنية: يخصّص الكتاب المدرسي للسنتين الثالثة والرابعة ابتدائي وحدة تعليمية مشتركة تحت عنوان الهوية الوطنية ، وتتضح معالمها من خلال حيّز النصوص الجزائرية التي غطّت نسبة 50 بالمئة من الكتاب المدرسي للغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي وقد جاءت جزأرة النصوص صريحة في مقدّمة الكتاب وهذا نصّها(يتميّز الكتاب باحتوائه على أكثر من خمسين بالمئة من نصوص جزائرية...مستمدّة من محيط المتعلم وهادفة إلى تنمية طاقاته الفكرية والسلوكية، معززة للقيم الروحية والأخلاقية والوطنية)¹.

¹ - كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، 2018/2019، كلمة المؤلفين، ص03.

ويتعزّز مفهوم الهوية الوطنية من خلال الوحدات التعليمية التي اختص بها كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة والرابعة ابتدائي (الجيل الثاني)، إذ جاءت تحت عناوين مشبّعة بقيم الوطنية وهي موزّعة كالآتي¹:

الوحدات	كتاب السنة الثالثة	كتاب السنة الرابعة
الوحدة الأولى	خدمة الأرض	الحنين إلى الوطن
الوحدة الثانية	عمر ياسف	الأمير عبد القادر
الوحدة الثالثة	من أجلك يا جزائر	الزائر العزيز

بينما جاءت نصوص الإدماج في الوحدتين حول الوطن وحمايته.

كما يتجسّد ملمح الوطنية في الكتاب المدرسي للسنة الأولى ابتدائي من خلال نشاط التربية المدنية ويأتي ذلك في الوحدة التعليمية الأولى وفيها يحفظ التلميذ النشيد الوطني فضلا عن أنّه يقوم له بواجب التحية كلّ صباح الدراسة ما يعمّق ملكة الحسّ الوطني فيه وجدانيا ، ويزداد تنامي هذا الحسّ الوطني في الوحدة الخامسة إذ تطالعا الصفحة سبعة وسبعون على مشهد مسرحي بعنوان بلادنا الجميلة وفيه يرتدي التلاميذ ثيابا بألوان العلم الثلاثة ويرفع أحمد ذراعه إلى الأعلى قائلا أنا الجزائر وتقف خديجة على يمناه في صورة تنضح بالوطنية² ، ويتنامى هذا الحسّ لدى التلميذ حتى يصل من الوجدانية إلى درجة الاعتزاز ويتجسد هذا الشعور الوطني في الصفحة 89 من كتيبي في اللغة العربية للسنة الأولى تحت عنوان "أحبّ وطني" ليخرج التلميذ بملمح وطني أولي يتجسّد في شكل محفوظ وهذا نصّه (أنا تلميذ جزائري أعتزّ بعلم وطني)³.

وفي ضوء ما سلف فإن كتب اللغة العربية للسنوات الأربع في ظل الإصلاح الجديد استطاع ان يرسم ملمحا ايجابيا عن قيم المواطنة وهو بذلك يسهم في تنمية الشعور بالانتماء و المشاركة في تحديد توجهات الفلسفة السياسية للمنظومة التربوية وتحولها إلى قيمة سلوكية إجرائية في المجتمع الجزائري الذي أوشك أن يفقد هذا الشعور في زمن العشرية السوداء.

2- قيم المواطنة: يعرّف وسام محمد صقر المواطنة بأنها (المشاركة و الارتباط الكامل بين الإنسان ووطنه المبني على أسس من العقيدة و القيم و المبادئ و الأخلاق و التمتع بالحقوق و أداء الواجبات بعدل و مساواة , ينجم عنه شعور بالفخر و شرف الانتماء لذلك الوطن, في ظل علاقة تبادلية مثمرة تحقق الأمن و السلامة و الرقيّ و الازدهار للوطن و المواطن في جميع المجالات)⁴

و المواطنة بهذا المفهوم لا تعني الوطنية إذ أنها تقوم أولا على التمتع بالحقوق و أداء الواجبات فهي علاقة حقوقية بين الفرد و المجتمع و الدولة , فلا يكفي إذن أن تكون تعبيراً عن الانتماء و الارتباط الروحي و النفسي بين المواطن و الوطن بقدر ما هي منظومة من الحقوق و الواجبات يتقاسمها الفرد و المجتمع و الدولة , و من مقومات المواطنة :

- الاحترام المتبادل بين المواطنين.
- الاعتدال و التوازن في السلوك و العمل .
- إحساس المواطن بالعدالة و المساواة الاجتماعية و احترام الأقلية و تكافؤ الفرص.

و بالنظر إلى ما جاء من محتويات في الكتاب المدرسي للطور الابتدائي فإننا بالكاد نقف على جزئية محدودة لطبيعة هذه القيمة ذلك أنّ هذا المفهوم حسب مقررات التربية الوطنية يهتم بالوطن و لا يركز على حقوق المواطن إلا بدرجة ضئيلة، فتصنيف المواطنة في الكتاب المدرسي أو في المقررات و المناهج يقوم على الآتي:

¹ ينظر/كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة والرابعة ابتدائي، 2018/2019، كلمة المؤلفين، ص 03

² - ينظر/ كتابي في اللغة العربية للسنة أولى ابتدائي (الجيل الثاني) ص 89.

³ ينظر/ المرجع نفسه ص 77.

⁴ - وسام محمد صقر: الثقافة السياسية وانعكاساتها على مفهوم المواطنة لدى الشباب في قطاع غرّة -دراسة ميدانية -رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة 2010، ص 103.

- الانتماء للوطن .
- الحفاظ على ممتلكات و مكتسبات الوطن .
- الدفاع عن تراب الوطن و مقدساته.
- احترام القادة و العمل بتوجيهاتهم.
- نبذ العنف و محاربة الإرهاب و الأفكار المنحرفة.
- التعاون من أجل المصلحة العامة .
- الاعتزاز بالهوية الوطنية.

وهي في جلها تصنيفات تلغي متطلبات هذا المواطن و النظر إلى حقوقه مقابل فلسفة الواجب التي لا زالت تستمد مرجعيتها من النظام الاشتراكي.

وإذا أردنا أن نتلمس هذا الملمح المدني فحري بنا أن نبحت في نشاط التربية المدنية(في مرحلة التعليم الابتدائي) لنقف معا على قيم المواطنة بمفهومها الديمقراطي خاصة في ضوء ما يسمى بكتب الجيل الثاني.

ولرصد هذه القيمة ارتأينا أن نوجز ملامحها في الجدول الآتي تبعا لما جاء في نشاط التربية المدنية في السنوات الأربعة الأولى من التعليم الابتدائي وقد وُزعت في الكتاب المدرسي وفقا للجدول الآتي:

الوحدات التعليمية للتربية المدنية للسنوات الأربعة :

السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
التحية ووردها	من حقّي أن أتعلّم+أتقن عملي+ من واجبي الانضباط	القواعد الصحية في التغذية+آداب الأكل	تراثنا+المعالم الأثرية في وطني
بطاقتي المدرسية	أطيع المستّين وأحترمهم+أنضامن مع جاري+أنا تلميذ مطيع	صحتي في غذائي+صحتي في نظافتي	حيّ القصة العتيق+من تراثنا المادي+ من تراثنا اللامادي
أحترم الكبير	الشجرة صديقة الإنسان+لنحني غابتنا+الحديقة العامة	خطر الأغذية السكرية والدسمة+أحافظ على سلامتي	التوزيعة+المحميات الطبيعية في الجزائر
أعطف على الصغار	الحقّ في الراحة+الحق في اللعب والترفيه+أنظّم أوقات راحتي	التنوّع الثقافي في وطني+العادات والتقاليد في وطني+لغتي العربية والامازيغية	التراث الوطني ومنظمة اليونسكو
علم وطني	نظافة المدرسة+الماء ثروة+نظافة المحيط	لا أميّز بين الذكور والإناث	الحوار وأهميته+آداب الحوار+إدارة الحوار
العملة الوطنية	أنا نظيف+أقرأ البطاقة الغذائية+نظافة الغذاء	أتعایش مع الآخر وأتقبله	التميز العنصري
وثائق هويتي	أتحاور مع غيري+آداب الحوار+أقبل الرأي الآخر	الحياة في القسم+آداب الكلام	المدرسة الابتدائية+المتوسطة+الثانوية
أتعرّف على	الممتلكات العامة والخاصة+المرافق	أتفاوض مع زملائي+انتخاب	الملكية الخاصة+الملكية

النشيد الوطني	العمومية + تراثنا ملك للجميع	مندوب القسم + مسؤولي في القسم	العامّة + تنظيف المدرسي
---------------	------------------------------	----------------------------------	-------------------------

2-1/ تحليل الوحدات التعليمية ومدى استجابتها لقيم المواطنة:

أ_ الوحدات التعليمية لنشاط التربية المدنية للسنة الأولى ابتدائي نموذجاً: يلاحظ أنّ تريب الوحدات لا

يخضع لمنهجية علمية وفي اعتقادنا أنّ لجنة التأليف لا تملك الخبرة الكافية لإنجاز هذا العمل بشكل علمي وعليه فنحن نقترح تنظيم هذا التريب وفقاً لنوع القيم مع فصل القيمة المعنوية عن القيمة المادية كما يجب احترام الحقول المصطلحية أو العائلة المصطلحية وتصور أن يكون التنظيم الصحيح كالآتي:

القيم المعنوية	القيم المادية
التحية وردّها	علم وطني
أحترم الكبير	العملة الوطنية
أعطف على الصغار	أتعرف على النشيد الوطني
	بطاقتي المدرسية + وثائق هويتي

أما من حيث استجابة هذه المفاهيم لسلم القيم في مجتمعنا الجزائري فيمكن أن نستشفها من خلال ما تعكسه القيم المعنوية في نفوس أبنائنا إذ أنّها تعزز المرجعية الدينية للجزائري ممثلة في بناء بنية عقلية مصدرها التشريع الإسلامي من جهة، وفي الوقت نفسه فهي تستجيب لتداعيات العولمة التي تحدّد علاقة الإنسان بالإنسان دون النظر إلى عرقه أو لونه. أما القيم المادية فهي تعزز في نظرنا الروح الوطنية (علم وطني، العملة الوطنية، النشيد الوطني) وتغرس في المتعلم الشعور بالانتماء (بطاقتي المدرسية، وثائق هويتي).

وإذا كان مفهوم المواطنة يقوم على علاقة حقوقية بين الفرد والمجتمع والدولة، فهل راعت هذه الوحدات التعليمية هذه الحقوق؟ طبعاً بالنظر إلى دلالتها فهي تركز على واجبات الوطن وتهمل حقوق المواطن محور الوجود وهي بهذا الطرح تعكس نظاماً تعليمياً كلاسيكياً لا علاقة له بالعولمة أو الطرح الحداثي في تعليم الشعوب وترقيتها. وأكتفي مبدئياً بهذا القدر من الطرح، ويبقى تصوّرنا لسلطة المفهوم وعلاقته بصناعة سلم القيم في مجتمعنا الجزائري مجرد اجتهاد أو رأي قابل للرفض أو القبول وتبقى في حوزتنا جملة من الأسئلة حول مرجعية الخطاب القيمي الذي تحرص الدولة على تمريره بواسطة المنظومة التربوية إلى القاعدة الشعبية.

قائمة المصادر والمراجع:

¹ - غراب يوسف: القيم في منظومة التعليم المصري، الإشكاليات والرؤى المستقبلية، صحيفة التربية، رابطة خريجي المعاهد والكليات، مصر، 1995.

² - Richaudaet : Conception et production des manuels scolaires .guide pratique.Paris.UNESCO.1979.P51.

³ - أبو الفتوح رضوان وآخرون: الكتاب المدرسي، فلسفته، تاريخه، أسس تقويمه (د-ت) دار المسيرة للنشر، عمان الأردن، ص 75.

⁴ - بشير معمريّة نقلا عن:نادية مصطفى الزقاوي، مجلة العلوم الإنسانية العدد 05، جوان 2001، جامعة منتوري قسنطينة.

⁵ - نبيل عبد الفتاح: علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 227.

⁶ - حافظ نبيل عبد الفتاح وآخرون: مقدّمة في علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1977، ص 21.

⁷ - د محمد هاشمي فالوقي: اتجاهات حديثة في التربية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1987، ص 75.

⁸ - بلغسلة فتيحة: قراءة تحليلية للكتاب المدرسي الجزائري في ظلّ تشخيص واقع المنظومة التربوية، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، ع

12، ص 177.

⁹ - المرجع نفسه، ص 178.

- ¹⁰-أشلي مونتاكو: طبيعة الإنسان البيولوجية والاجتماعية، تر: أحمد حسن الرحيم النجف، مطبعة الأدب، د-ت، 1965.
- ¹¹-كتابي في اللغة العربية، السنة الأولى ابتدائي (الجيل الثاني) 2016/2017 لجنة التأليف، ص.03.
- ¹²-كتابي في اللغة العربية، السنة الثانية ابتدائي (الجيل الثاني) 2016/2017 المؤلفون، ص.03.
- ¹³- كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، (الجيل الثاني) 2018/2019، كلمة المؤلفين، ص.03.
- ¹⁴ ينظر/كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة والرابعة ابتدائي، (الجيل الثاني) 2018/2019، كلمة المؤلفين، ص.03
- ¹⁵ - ينظر/ كتابي في اللغة العربية للسنة أولى ابتدائي (الجيل الثاني) ص.89.
- ¹⁶ ينظر/ المرجع نفسه ص.77.
- ¹⁷ - وسام محمد صقر: الثقافة السياسية وانعكاساتها على مفهوم المواطنة لدى الشباب في قطاع غزة -دراسة ميدانية -رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة 2010، ص.103.